تأملات قرآنية ـ ســـــــورة القلم أنموذجا

أ.عبد السلام محمد علي الأميري*
a.alamiri.1985@gmil.com
تاريخ الاستلام 4 /5 / 2025م تاريخ القبول 12 /9 / 2025م

Reflections on the Qur'an – Surah Al-Qalam as an example

Abdul Salam Muhammad Ali Al-Amiri*

Abstract
The summary aims to demonstrate the service of the Book of God and contemplation of its meanings, especially its themes that are served by interpretation, which this study has become a major component of the various types of interpretation. This study examines Surat al-Qalam, highlighting its importance in defending the person of the Prophet (peace and blessings be upon him) and explaining the call to truth brought by Islam, which faced all forms of hostility, aggression, and harm inflicted upon the Prophet (peace and blessings be upon him) and his Companions. This study connects these matters to unseen topics that God informed His Prophet (peace and blessings be upon him) of, to serve as a witness and support for the call to Islam, on the one hand, and as a consolation for the Prophet (peace and blessings be upon him) from the horror he encountered from his people, who disbelieved and denounced this call out of arrogance and conceit. The research thus introduces Surat al-Qalam first, and divides the topics it contains, beginning with the secret of its opening and God Almighty's address to His Prophet, praising, commanding, and forbidding. It also links this to the story of the Companions of the Garden and the events and similarities it contained. With the actions of the infidels of Quraysh, the threats and warnings, and the mention of the horrors of the Day of Resurrection for those who follow their path and approach in transgressing and defying the commands of God, and the consolation of the Prophet - may God bless him and grant him peace - urging him to be patient, following it with the mention of the story of his Prophet Yunus - peace be upon him - as a conclusion to these recommendations that came to the Prophet - may God bless him and grant him peace - at the beginning of the Surah, so the conclusion was in accordance with the opening.
Keywords: Surah Al-Qalam; Quranic Reflections; Quranic Stories.

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

الملخـــص:

يكمن الملخص في بيان خدمة كتاب الله والتدبر في معانيه ولا سيما موضوعاته التي يخدمها التفسير والتي أصبحت هذه الدراسة جزءا من الجزيئات الرئيسية من ضمن أنواع التفسير ويأتي ذلك من خلال سورة القلم لإبـــراز أهميتها في الدفاع عن شخص النبي - صلى الله عليه وسلم- وبيان دعوة الحق التي جاء بها الإسلام ، والتـي واجهت جميع أنواع العداء والتعدي والضرر الذي لحق بالنبي -صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، من حيث ربط هذه الأمور بموضوعات غيبية أخبر بها المولى نبيه - صلى الله عليه وسلم - لتكون شاهدة ومؤيدة لدعوة الإسلام من جهة، ومسلية للنبي - صلى الله عليه وسلم - من هول ما لقيه من قومه الذين كذبوا واستنكروا عنه هذه الدعوة استكبارا وتبجحا، فجاء البحث معرفا لسورة القلم أولا ومقسما لما تضمنته السورة من مواضيع بداية في سر افتتاحها وخطاب الله - سبحانه وتعالى - لنبيه مادحا وآمرا وناهيا ، وربط ذلك بقصة أصحاب الجنة وما اشتملت عليه من أحداث ومشابهتها بأفعال كفار قريش والتهديد والوعيد وذكر أهوال يوم القيامة لمن سار على سيرهم ونهجهم في التعدي والتصدي لأوامر الله وتسلية النبي - صلى الله عليه وسلم - حاثا له على الصبر معقبا له بذكر قصة نبيه يونس - عليه السلام - ختاما لهذه التوصيات التي جاءت للنبي - صلى الله عليه وسلم - في بداية السورة فكان الختام موافقا للافتتاح.

الكلمات المفتاحية:

سورة القلم؛ تأملات قرآنية؛ قصص قرآنية.

المقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعـد:

فإنه ما انبلج فجر الحرية، وأصبحت السعادة تعم كل البشرية، إلا ببعثة خير البرية، فجاء معه بالقرآن الكريم، خير الكتب السماوية، فأصبح الناس يتدارسونه بشتى العلوم وتوالت عليه المناهج الدراسية، فكان من أجل هذه العلوم علم التفسير، الذي تعددت مناهجه وكثرت اتجاهاته، وذلك لغاية أسمى وفائدة أرجى، ومعرفة أزكى، وهي فهم

مراد الله - تعالى - من كلامه، فكان من بين هذه الاتجاهات منهج التفسير الموضوعي، الذي يربط بين الموضوعات القرآنية، في وحدة مترابطة متماسكة، يهدف من خلالها الباحث أن يبين نظم جمال القرآن، باتجاهاته ومناهجه المختلفة، وبين علومه ومعارفه المتنوعة، ليجعل بين يدي القارئ، جوهرة قرآنية، تملأ عيني الناظر، وتبهج قلب المتأمل، وتنير عقل المتدبر لآيات الله - عز وجل - وهذا ما دفعني لاختيار أجمل ما ورد في القرآن من الإعجاز والبيان وربط الموضوعات في وحدة من شأنها الدلالة على ما تتحدث عنه هذه الموضوعات وهي الحديث من الموضوعات التي وردت في (سورة القلم)، لأصل بذلك إلى دراسة موضوعية لهذه السورة، فاسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

أسباب اختيار الموضوع:

1 - خدمة كتاب الله - عز وجل -.

2 - التأمل والتدبر في فهم مراد الله من كلامه.

3 - إبراز مضمون سورة القلم.

4 - تشريف السورة بافتتاحية عظيمة.

الأهداف:

الوصول إلى منهجية موضوعية لدراسات أخرى تنبثق من سورة القلم لتكون دليلاً يهتدى به.

أهمية الموضوع:

1 - الدفاع عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ودعوته من خلال إبراز الإعجاز القرآني من خلال هذه السورة.

2 - العبر والمواعظ والترهيب والترغيب التي امتلأت به هذه السورة ببيانها وتوضيحها.

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على مقدمة تضمنت على الأسباب والأهمية والأهداف ثم على تمهيد تضمن ثلاثة مطالب وثلاثة مباحث. هيكلية البحث تجلت في الآتي:

المبحث الأول: خطاب النبي - صلى الله عليه وسلم - والأمور التي نهى الله نبيه عنها ويشتمل على مطلبين: المطلب الأول: خطاب النبي - صلى الله عليه وسلم - المطلب الثاني: الأمور التي نهى الله نبيه عنها. المبحث الثاني: تشبيه كفار قريش بأصحاب

الجنة، وبيان حالهم بعد خراب بستانهم ويشتمل على مطلبين: المطلب الأول: تشبيه كفار قريش بأصحاب الجنة. المطلب الثاني: بيان حال أصحاب الجنة بعد خراب بستانهم.المبحث الثالث: ذكر أهوال يوم القيامة والتهديد والوعيد وتسلية النبي - صلى الله عليه وسلم - ويشتمل على مطلبين:المطلب الأول: ذكر أهوال يوم القيامة.المطلب الثاني: التهديد والوعيد وتسلية النبي - صلى الله عليه وسلم - وينقسم إلى فرعين:الفرع الأول: التهديد والوعيد.الفرع الثاني: تسلية النبي - صلى الله عليه وسلم- .الخاتمة تضمنت النتائج وأهم التوصيات.

التمهيد ـ مناسبة سورة القلم بما قبلها وما بعدها، وسبب التسمية وعدد آياتها وترتيبها في المصحف.

عند ذكر الله - سبحانه - في آخر سورة الملك التهديد بتغوير الماء - وهو جعله أسفل الأرض لا ينال لا بالفؤوس ولا بالسواعد [1] بسبب كفرهم وجحودهم، وذكر في سورة القلم ذهاب ثمر أصحاب البستان بطائف طاف عليهم، فأصبحوا لم يجدوا شيئاً، كان هذا في الثمار، بالرغم من كثافتها، فالماء أولى بالإذهاب لرقته ولطفه، لهذا قال سبحانه {**وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ**}[2]، وقال في الملك {**إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا**}[3] إشارة إلى أنه يسري عليه في ليلة كما أسرى على الثمر في ليلة[4] ، ودلالة خاتمة سورة الملك وبداية سورة القلم وهو الحديث عن الكافرين الآخذين بنعمة الله عليهم وإنكارهم وتكذيبهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - يتبين أن هناك مضمون بين السورتين من خلال خاتمة سورة الملك وبداية سورة القلم، وهو عرض لبعض الأهوال والمواقف ليوم القيامة، وأسئلة تعجيزية وإقناعية للجاحدين والمعاندين، وحوار ملامة وندم، ففي سورة الملك دار بين أهل النار وخزنتها، وفي سورة القلم دار بين أصحاب الجنة الذين منعوا فضل الله عن عباده وأهلك الله حرثهم وجعل بستانهم أثراً بعيد العين[5].

2- سبب تسميتها ونوعها وترتيبها في المصحف وعدد آياتها:

أولاً ـ سبب التسمية ونوعها: تسمى سورة "ن"، وتسمى سورة "القلم"، و"ن" حرف من حروف المعجم نحو: ص، و ق، وهو غير معرب كبعض الحروف التي جاءت في غايرها مهملة من العوامل والحكم على موضعها بالإعراب تخرص[6].

وقيل: هو حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط، وهو: حامل للأرضين السبع وقيل: المراد بالنون: لوح من نور، وقيل: دواة[7].

والقلم: قسم من الله تعالى، وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي ما تناول العلوم، ولهذا قال: [**وَمَا يَسْطُرُونَ**] أي: ما يكتبون أو ما يعلمون[8].
فسميت بالقلم، لأن الله أقسم فيها بأداة الكتابة وهي "القلم" تعظيماً للقلم[9].
وكذلك لإظهار ما استنير وبيان ما أسهم[10] في قوله تعالى: [**فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**][11]، وقد سميت على حكاية اللفظين الواقعين في أولها، أي سورة هذا اللفظ[12]. وهي مكية، ولا خلاف فيها بين أحد من أهل التأويل[13].
ثالثاً: ترتيبها وعدد آياتها : ترتيبيها في المصحف: الثامنة والستون، وعدد آياتها: تنثان وخمسون آية[14].
3-مناسبة سورة القلم لما بعدها: لذا وقع في (ن) ذكر يوم القيامة معملا في قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق)[15]، شرح ذلك في سورة الحاقة هذا اليوم وشأنه العظيم[16].

المبحث الأول ـ خطاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأمور التي نهى الله نبيه عنها

المطلب الأول ـ خطاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
المتمثل في قوله تعالى: {**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ، وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ، فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ، بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ، فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ، وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ، وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ، أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**}.
المعنى العام. ذكرت سورة القلم في سياقها أموراً عظيمة وأهوالاً شديدة من تكذيب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والجحود بدعوة الإسلام وعاقبة الصد عن حقوق المساكين وذكر أحوال يوم القيامة، فناسب ذلك أن تفتح السورة بشيء عظيم لأسلوب رفيع، وهو القسم بالحرف والقلم، فحرف النون كما ذكر عند غير واحد من المفسرين هو: الحوت العظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع، والقلم، تنبيه الله لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم[17]، كما روي في ذلك أن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: أول ما خلق الله من شيء القلم، فجرى بما هو كائن، ثم رفع بخار الماء، فخلقت منه السماوات، ثم خلق النون،

فبسطت الأرض على ظهر النون، تتحرك النون، فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال، فإن الجبال لتفخر على الأرض[18]، وقرأ ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴾[19]. وقد تضمن هذا المبحث على مطلبين هما:

المطلب الأول ـ خطاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمتمثل في قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ، وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ، فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ، بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

المعنى العام. يتضح بما أشرنا إليه بالقسم بالنون والقلم، إنما هو لأمر عظيم، وهو تكذيب المشركين لدعوى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإبطالاً لتكذيب المشركين، وهو ما يدعونك به يا محمد، من أن الذي جئت به افتراء وما وصفوك به من الجنون، فهو قول باطل، وخير دليل على ذلك التحدي بالقسم الذي أقسم الله به، فالله سبحانه لا يقسم إلا بالأمور العظيمة.

فوائد القسم: من فوائد هذا القسم، أن القرآن كتاب الإسلام، وأنه سيكون مكتوباً ومفروداً بين المسلمين، ولهذا كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأمر بكتابة الوحي[20].

واستهل سبحانه بعد ذلك بمدح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول جمع فيه منتهى الأدب والخلق الرفيع ومكارم الأخلاق، فقال ـ سبحانه ـ {**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**}، قال ابن عاشور: "الخلق العظيم: هو الخلق الأكرم في نوع الأخلاق وهو البالغ أشد الكمال المحمود في طبع الإنسان لاجتماع مكارم الأخلاق في النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو حسن معاملته الناس على اختلاف الأحوال المقتصنية لحسن المعاملة، فالخلق العظيم أرفع من مطلق الخلق الحسن"[21]. وقد سئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن خلق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت: كان خلقه القرآن[22].

ثم خاطب الله نبيه بأنه سيعلم الجميع من هو الضال المفتون الذي افتتن عن الحق وضل عنه، والله ـ سبحانه ـ هو أعلم أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي، ويعلم الضال عن الحق[23].

لمطلب الثاني ـ الأمور التي نهى الله نبيه عنها :

المتمثل في قوله تعالى: {فَلَا تُطِعِ المُكَذِّبِينَ، وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ، وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ، أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ، سَنَسِمُهُ عَلَى الخُرْطُومِ}.

مناسبة هذه الآية لما قبلها: لما ذكر الله ـ سبحانه ـ مقالة المشركين للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووصفوه بالجنون، على ما أنعم الله عليه من خلق رفيع، أردف ذلك بما يقوي عليه قلبه ويدعوه إلى التشدد مع قومه مع قلة العدد، وكثرة الكفار، فنهاهم عن طاعتهم عامة، ثم أعاد النهي عن طاعة المكذبين الذين اتصفوا بالأخلاق الذميمة التي ذكرت في هذه الآيات خاصة دلالة على قبح سيرتهم، وضعف نفوسهم، وقدسيتهم لها بعظيم الذنوب والآثام[24].

أشار ابن عاشور في مناسبة هذه الآيات بما قبلها؛ هو أن هذه الآيات تفريع على جملة {**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ** }[25]. باعتبار ما تضمنته من أنه على الهدى، وأن الجانب الآخر في ضلال السبيل، فإن ذلك يقتضي المشادة معهم، وأن لا يلين لهم في شيء، فإن أذاهم إياه آل إلى محاربة الحق والعدل، وتكذيب فيما هم عليه من الضلال عن سبيل الله[26].

سبب نزولها : ذكر ابن عاشور أن سبب نزولها، أن المشركين ردوا أن يمسك النبي عن مجاهرتهم بالتضليل والتحضير فيمسكوا عن أذاه، ويصافع بعضهم بعضاً، فنهاه الله من إجابتهم لما قالوا[27].

المعنى العام : عندما من الله ـ سبحانه ـ على رسوله بهذا الدين القويم والشرع المستقيم، ورفع ذكره، وأعلى شأنه، ووصفه بجماع الأخلاق ورفيع السلوك، وأنعم عليه بحمل هذه الرسالة، نهاه عن طاعة المكذبين والركون إليهم، لأنهم يودون أن تلين لهم، وتتخلى عن الدعوة، وهم في مقابل ذلك يلينون لك، وهذا التعليل أشار إليه في قوله: {**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** }[28]. ثم بعد ذلك عقب الله ـ سبحانه ـ أنواعا من هؤلاء المكذبين الذين اتصفوا بقبيح الصفات وسيء الأفعال فقال سبحانه: { **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ، أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ** }[29]. صفات ذميمة وعلامات على قبح أصحابها، جاءت بصيغة المبالغة، لتبيين ما عليه أصحابها من الإكثار منها، والولوج فيها.

قيل أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة فقد كان دعياً في قريش وليس منهم ما دعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده[30].

معاني هذه الصفات : نهى الله - سبحانه - نبيه بطاعة كثير الخلف مستعينا بعظمة الله الذي يجتري على أسماء الله تعالى، كثير الهمز مغتاب يأكل لحوم الناس بالقذف والقدح والطعن والسب والشتم، بمشروعية الناس بالنعمة وبنقل أحاديثهم وكلامهم ابتغاء الفتنة والفرقة، يمنع الخير ويصد عنه، يتجاوز بذلك ما فيها من الحد المشروع، يتناول المحرمات ولا يحطاط منها، هو الفظ الغليظ، الجموع المنوع، على ما أنعم الله عليه من أموال وبنين كفر بآيات الله وأنكرها وأعرض عنها، ووصفها بأنها كذب مأخوذ من قصص الأولين[31].

فإذا كانت هذه صفاتهم وأحوالهم السيئة، وزادوا على ذلك الكفر والتكذيب لدعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - وهم أصحاب مال وجاه، فكيف يكون العقاب لهم؟

العقاب ما عقب الله بعد ذلك فقال: { **سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ** }[32]، أي: نجعل ما يلحق به من العار في الدارين كالوسم الذي لا ينحني أثره وهو أن يكون الأنف طويلاً، وسبب ذلك، هو نكاية لهم وذلاً وعاراً، لأن الوجه أشرف ما في الإنسان، وأظهر وأكرم ما فيه الأنف، وجعلوا منه مكان عز وحمية، واشتقوا منه الأنفة[33].

يتبين من ذلك أن دفاع الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - وإظهاراً لصدق دعوته، وتأهيله وتنقيته من كل عيب ونقص، وتعجيز المشركين بالآيات والبراهين ودعم ذلك بالأمور العظيمة، وتظهر لنا بعد ذلك فائدة جليلة نافعة، فكما عهدنا من القرآن محل خطاب وتوجيه للنبي - صلى الله عليه وسلم - هو خطاب وتوجيه لأمته، فقد نهى الله في هذه الآيات نبيه من طاعة كل من اتصف بخلق مذموم وسلوك منحرف؛ لأن ذلك لا يتناسب مع مقام النبوة، وهناك آيات أخرى خاطبت النبي - صلى الله عليه وسلم - بعدم طاعة مثل هؤلاء فقال - سبحانه:{ **وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** }[34]. فبذلك يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - قد وجه أمته إلى، اتباع الصالحين، ومجانبة الضالين، ومن كان على خلق ذميم، قال - صلى الله عليه وسلم: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)[35]، وقال أيضاً: (ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه، ومثل جليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه)[36].

المبحث الثاني ــ تشبيه كفار قريش بأصحاب الجنة، وبيان حالهم بعد خراب بستانهم:

المتمثل في قوله تعالى: {**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**}.

المعنى العام : هذه الآيات تتحدث عن قوم من أهل اليمن، كان لوالدهم بستان، وكان هذا الأب يؤدي حق الله فيها، فعندما مات أبوهم ورثوا هذا البستان وحرموا الناس من خيره، فعاقبهم الله بحرق بستانهم، وذكر أنهم من أهل الكتاب[37].

تضمن هذا المبحث على مطلبين هما:

المطلب الأول: تشبيه كفار قريش بأصحاب الجنة :

المتمثل في قوله- تعالى- : {**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ**}.

المعنى العام: ضرب الله هذا المثل لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعم الجسيمة، م ذلكم بعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - إليهم، فما كان منهم إلاَّ الرد والتصدي والتكذيب والمحاربة والأذى، فاختبرهم الله كما اختبر أهل الجنة - الذين سبق تعريفهم في كونهم حلفوا واتفقوا ليجدن ثمرها ليلاً، لئلا يعلم بهم فقير ولا مسكين، ليجنوا ثمرها عليهم، ولا يتصدقوا منه شيء، فبعث الله عليها وهم نيام بالليل آفة من نار، فاحترقت جنتهم، حتى أصبحت سوداء كالزرع اليابس المقصود، فلما أصبحوا وذهبوا على تنفيذ ما بيتوا على فعله وجدوا بستانهم قد تحول سواداً كالليل المظلم[38].

مناسبة هذه الآيات بما قبلها : بعد أن ذكر الله ما كان عليه ما ذكر في الآيات السابقة، من مال وبنين كان ذلك للامتحان والابتلاء، وأن يُوَاظب على طاعة الله ويُشْكر على نعمه، فإن فُعِلَ غير ذلك، قطع الله نعمه، وهذا الذي أشار إليه في قوله {**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الجَنَّةِ**}، أي كلفنا هؤلاء أن يشكروا الله على نعمه كما كلفنا أصحاب الجنة أن يشكروا ويعطوا الفقراء حقهم(39).

أشار ابن عاشور إلى أن الجملة مستأنفة ابتداءً دلت إليها مناسبة قوله: {**أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**}. فالغرور بسعة الرزق المفضي إلى الاستحقاق بدلالة الحق قد أوقع من قديم الزمان أصحابه في إهمال النعمة فاستحقوا بذلك سوء العواقب، فضرب الله للمشركين مثلاً بحال أصحاب هذه الجنة لعلهم يستفيقون من غفلتهم وغرورهم، كما ضرب المثل بقارون في سورة القصص ومثلاً آخر قريباً منه في سورة الكهف(40).

المطلب الثاني: بيان حال أصحاب الجنة بعد خراب بستانهم:

المتمثل في قوله: {**فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَقَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ كَذَلِكَ العَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**}.

المعنى العام : عندما قدموا بستانهم ورأوا الحالة التي عليها من الخراب والدمار ظنوا أنهم قد ضلوا الطريق، ولكن بعدما تبين لهم أن هذا الذي أمامهم هو بستانهم، اقتنعوا بأنهم ليسوا ضالين، بل حرموا خير بستانهم، فقال أحسنهم وأرجحهم عقلاً ورأياً، لولا تذكرون الله وتسبحونه وتتوبوا إليه وتندمون على عملكم وتعترفون بذنبكم وتصلحوا خبث نيتكم، وقد نبهم قبل فعلتهم وإقبالهم على المعصية، على عدم هذا الفعل فاعترفوا بذنبهم، وأقبلوا على الله بالتسبيح والندم، وأصبحوا في ملامة بعضهم بعضا لمن أشار إليهم على الإقبال على هذا الفعل، وتخوفوا من الهلاك إن لم يقبل الله توبتهم ويغفر لهم ذنبهم، فرجعوا وطلبوا العفو، حتى يمن الله عليهم أفضل منها، فبين الله سبحانه عذاب الدنيا من هذه القصة، ولكن عذاب الآخر أشد وأعظم من عذاب الدنيا(41).

نستخلص من قصة أصحاب الجنة وبيان حالهم وما آلت إليه جنتهم النقاط التالية:

1- ذكر قصص القرآن ما كانت قصص تروى وأحاديث تعرض وإنما كانت للتذكرة والعظة ويدل على ذلك قوله سبحانه مخاطباً نبيه عندما ختم سورة يوسف {**لَقَدْ كَانَ**

فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الالبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}(42).

2- أن مثل هذه القصص من الأمم الماضية، لم يكن للنبي - صلى الله عليه وسلم، علماً بها إلا ما أخبره الله في كتابه تسلية لنبيه وتأكيداً وتأييداً لصدق دعوته.

3- سير الأبناء على سير آبائهم في صنع المعروف وتقديم الخير للناس بعد ممات الآباء يعتبر من برهم بعد موتهم، أما ما فعله هؤلاء الأبناء عقوق، ومن المعروف أن عقوق الوالدين ذنب.

4- ارتكاب الذنوب والمعاصي في الدنيا سبب لزوال النعم وحلول النقم ومحق البركة، قال سبحانه **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**(43).

5- الإقلاع عن الذنب والتوبة النصوح والاستغفار والإنابة سبب في العيش حياة طيبة ودخول الجنان في الآخرة قال تعالى: **{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}**(44).

المبحث الثالث: ذكر أهوال يوم القيامة والتهديد والوعيد وتسلية النبي - صلى الله عليه وسلم - ويشتمل على مطلبين:

المتمثل في قوله تعالى: **{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَالمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ أَمْ عِنْدَهُمُ الغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}**.

المعنى العام: جاءت هذه الآيات مشتملة على أهوال يوم القيامة وما فيه أولاً من جزاء وثواب لمن آمن وتاب وعمل صالحاً والتزم بالامتثال لكل أمر من شأنه تقوى الله عز وجل، كما اشتملت على الرد على المشتركين الذين جحدوا نعمة الله وأنكروا دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم عن طريق استفهامات، واشتملت كذلك على ذكر بعض المجرمين الذين يحالون السجود يوم القيامة فلا يستطيعون، لأن وقت الدعوى إلى السجود امتنعوا وأبوا أما الآن فهو وقت الجزاء والعقاب والمصير الأليم، لهذه الأسباب وجه الله الخطاب لنبيه بأنه الله هو من يكفيه شرهم، وينتقم منهم مخبراً بالأوضاع التي سيمرون بها، مع الصبر على أذاهم والتآمر عليه، وأن يبعد عنه كل الضجر والقلق مذكر له بقصة نبيه يونس عليه السلام كتسلية له، وعدم ارتكاب فعله.

وقد تضمن هذا المبحث على مطلبين هما:

المطلب الأول ـ ذكر أهوال يوم القيامة :

المتمثل في قوله تعالى: {**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**}.

المعنى العام : في هذه الآية يرد الله - سبحانه - على أهل الكفر بأن من اتقى وآمن وصدق بدعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - سينال جنات النعيم، وأنهم أهل الكفر ليس لهم إلا الخسران، فهم ليسوا سواء من آمن وصدق بمن كفر وجحد وكذلك. ، وأشار ابن عاشور إلى أنه استئناف بياني، وهو التساؤل عن جزاء المتقين، بعد أن ذكر عقاب المجرمين[45] ، ثم عقب الله - سبحانه - بعد ذلك باستفهامات إنكارية ردا ودحضاً للمشركين وهي:

الأول: {**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**}. هل يتساوى المسلمون والمجرمون في[46] الجزاء، وقوله: {**مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**} لتأكيد الرد وتشديده[47]، أي: كيف تظنون؟، قيل: أنه لما نزلت هذه الآية، قالت قريش: إن كان ثم جنة فلنا فيها أكثر الحظ، فرد الله عليهم {**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**}[48].

الثاني: {**أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ**} هل بين أيديكم كتاب تدرسونه وتتداولونه وتختارون أحكاماً على ما تدعون[49]. جاء في تفسير قوله تعالى: {**إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ**}، أن هذا استئناف على قول على معنى: إن كان لكم كتاب، فلكم فيه متخيره وقال آخرون: (إن) معمولة لـ(تدرسون)، أي تدرسون في الكتاب إني لك ما تختارون من النعيم[50].

الثالث: قوله تعالى: {**أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ**}.

الأيمان: العهود والمواثيق[51]، أي أنها محمولة سارية إلى يوم القيامة، مقتضاها ما يختارون وما يشتهون[52]، هذه أيمان قسم، والمقسم عليه هو: {**إِنَّ لَكُمْ** } أي خاصة دون المسلمين[53]. ثم عقب الله - سبحانه - بعد هذه الاستفهامات بقوله: {**سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** }وقد جاء في بيان هذه الانتقالات الثلاثة سالفة الذكر، بأن ما يحكمون به إما أن يكون له سند كتاب سماوي، أو يكون لهم عهداً من الله أن يعطوا ما يشتهون، وإما أن يكون لهم كفيل، أو معولا على نصر شركائهم، والاستفهام في قوله (سلهم) يفيد الانكار والتهكم[54].

نستخلص من ذكر هذه الاستفهامات أنها على سبيل التوبيخ والتهكم والاستهزاء بهم، وإعجازهم وإبطال أكاذيبهم، ودفاعاً عن دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - ورد عدوانهم وأذاهم.

بيان أحوال المشركين : بعد ما ذكر الله سبحانه جزاء المتقين وأنهم لا يستوون مع من كذب الدعوة وجحد بنعم الله، كان لابد من أن يبين نوع العقوبة التي تنتظرهم، ويظهر ذلك من أهوال يوم القيامة التي ذكرت في الآيات، من كشف الساق، وأشد العقوبات بأن قال فيهم ربنا {**وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (42) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**}، عندما دعوا في الدنيا للسجود مع سلامتهم وصحتهم وامتنعوا، كان عاقبتهم بأن منعوا منه في الآخرة، كلما أرادوا السجود خروا لقفاهم، لكي لا يسجدوا، كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون[55].

مناسبة هذه الآيات لما قبلها : هو أن الله - سبحانه - كما بلا كفار قريش وشبه حالهم بما حصل من البلاء لأصحاب الجنة أخبر بحال أضداهم وهم المتقون[56].

ولما بينت الآيات السابقة نموذجاً لمجموعة من الناس جحدوا ومنعوا وندموا لهم بنفعهم الندم عقبت بعد ذلك آيات توضح نموذجاً للمتقين الذين يستحقون النعيم،

ونموذجاً لمن امتنع عن السجود في الدنيا، فهو يحاول السجود يوم القيامة فلا يستطيع، لأن وقت السجود قد فات أوانه[57].

المطلب الثاني ـ التهديد والوعيد وتسلية النبي - صلى الله عليه وسلم -.

والمتمثل في قوله تعالى: {**فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ أَمْ عِنْدَهُمُ الغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**}.

وينقسم إلى فرعين:-

الفرع الأول: التهديد والتخويف والمتمثل في قوله: {**فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ أَمْ عِنْدَهُمُ الغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ**}.

مناسبة الآيات لما قبلها : في الآيات السابقة خوف الله - سبحانه - الكفار بعظم يوم القيامة، وأردف في هذه الآيات بعد ذلك زيادة في التخويف والتهويل والوعيد دليلاً على قدرته في القهر[58].

يتبين أن هذه الآيات تأكيد وبيان لما جاء في الآيات التي سبقتها، من تضخيم التهويل والوعيد، وتسلية وتهدئة للنبي - صلى الله عليه وسلم - على ما رآه من قومه من تكذيب وأذية، وأن الله سيجازيهم على ما اقترفوه، وذلك بالآيات والبراهين والإعجاز. وزيادة وتضخيم ما جاء في هذه الآيات يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: الاستدراج في قوله: {**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**}. والاستدراج هو: "الحمل من رتبة إلى رتبة، حتى يصير المحمول إلى شر"[59]، وفي معنى الاستدراج، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)[60].

ثانياً: إطالة المدة في قوله {**وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**} الملاوة هي: المدة من الدهر[61]. وقد أشار ابن كثير إلى أنها التأخير والانتظار والتمديد لبيان الكيد والمكره، ولذلك أعقبه بقوله {**إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**}، أي: عظيم علي من خالف أمر الله وكذب رسله[62].

ثالثاً: سؤال النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله: {**أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (40) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ**} الذي يفهم من سياق الآيات أن فائدة هذه الآيات هي تسلية النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذا الذي أشار إليه بعض المفسرين في تفسير هذه الآية في سورة الطور(63).

إذاً: ففي هذه الآيات خطاب الله للنبي - صلى الله عليه وسلم - أورد بجزاء وعقاب كل من خالف أمره تمثل في استدراجهم وإمهالهم، حتى يزدادوا في إثمهم وطغيانهم، ومثل ذلك في قوله: {**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**}(64).

الفرع الثاني: تسلية النبي - صلى الله عليه وسلم-.

والمتمثل في قوله تعالى: {**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** }

مناسبة هذه الآيات لما قبلها: هذه الآيات تفريع لما تقدم من إبطال ما زعمه المشركون من تكذيبهم للقرآن وللرسول وطعنهم في دعوته، وما تعقبه من كفالة الله لنبيه ونصره على عدوه، ذلك وما سيحصل للنبي - صلى الله عليه وسلم - من يأس وحزن ففرع الله عليه ما يثبته ويحثه على المصابرة، ليرفع من درجته وليكون من أولي العزم فأخبره

بنبيه يونس - عليه السلام - وما استعجل عليه، فأدبه الله وجعله من الصالحين(65).

والمعنى أن الله - سبحانه - أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالصبر والتحمل وعدم الاستعجال، وذكره ما حصل ليونس - عليه السلام - لما ضجر وتعجل عن أمر ربه، فأدبه الله بأنه التهمه الحوت في بطنه، ولكن يونس - عليه السلام - كان من المستغفرين، فأنجاه ربه وتاب عليه، فكان من دعائه - عليه السلام - ما ورد في سورة الأنبياء (أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)(66).

ولعل الحكمة من ذلك أيضاً، الإخبار بالأمم السابقة، وما كان منهم مع أنبيائهم، وقد أشارت إلى ذلك الكثير من الآيات القرآنية، ونذكر منها على وجه العموم قوله - سبحانه - {**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**}(67).

فبين الله - سبحانه - لنبيه ما عانوه مع أقوامهم، ثم ما كان من الله على نصرهم وتمكينهم، وأن الله سينصره ويمكنه كما كان شأن الأنبياء قبله.

ويشير إلى ذلك أيضاً ما أخبره الله في سورة الأنعام بذكر الأنبياء ثم قال له: {**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**}(68). والله تعالى أعلم.

الخاتمـــة:

تضمنت الخاتمة النتائج وأهم التوصيات، فأما النتائج فهي كالآتي:

1 - الإعجاز القرآني بافتتاح السورة بشيئين عظيمين هما: نون والقلم.

2 - ذكر الأخلاق التي اجتمعت في النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذه إشارة إلى عدم النقص فيمن أراد الله إرسالهم للناس.

3 - الإخبار عن صفات الكفار السيئة وتحذير النبي - صلى الله عليه وسلم - من طاعتهم، لما فيه من حط من مقام النبوة.

4 - الإخبار بقصة أصحاب الجنة فيه العظة والعبرة لمن سولت له نفسه من منع الزكاة.

5 - بيان جزاء المتقين فيه تمييز عن أحوال الكافرين يوم القيامة.

6 - سرد قصة يونس - عليه السلام - فيه تسلية للنبي - صلى الله عليه وسلم - والصبر على أذية قومه له.

7 - قوة ترابط الموضوعات التي وردت في السورة ببعضها والتي تهدف إلى إعجاز القرآن وتثبيت وتمكين دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم.

التوصيات:

تتبع جوانب الحياة المختلفة وصورها، وذلك من خلال قصص الرسل كما وردت في القرآن.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بيان تضارب المصالح

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامش

1. ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م، الطبعة الثانية 1420هـ/1999م. 183/8.
2. سورة القلم الآية (19) (20).
3. سورة الملك الآية (30).
4. ينظر: أسرار ترتيب القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ومرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة، القاهرة – مصر. ص140.
5. ينظر: التفسير الموضوعي، الدكتور: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م. 291/8.
6. ينظر: البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق كلا من: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – والشيخ علي محمد معوض، والدكتور: زكريا عبد المجيد التونسي – والدكتور: أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1413هـ/1993م. 301/8.
7. ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م، الطبعة الثانية 1420هـ/1999م. 184/8.
8. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجرة القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م. 148/23.
9. ينظر: التفسير الموضوعي، الدكتور: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م. 289/8.
10. ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – مصر. 272/20.
11. سورة الملك الآية (29).
12. ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م. 57/29.
13. ينظر: المحرر الوجيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي – تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م. 345/5.
14. ينظر: التفسير الموضوعي، الدكتور: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م. 289/8.
15. سورة القلم الآية (42).
16. ينظر: أسرار ترتيب القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ومرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة، القاهرة – مصر. ص146.
17. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجرة القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م. 140/23–148.

18. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجرة القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م. 140/23–148. من حديث ابن ميامن في قوله تعالى: {ن والقلم وما يسطرون}، 140/23.
19. سورة القلم الآية (1).
20. ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م. 60/29.
21. المصدر السابق نفسه.
22. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجرة القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م من طريق معمر عن قتادة في قوله تعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم)، 150/23.
23. ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م، الطبعة الثانية 1420هـ/1999م. 190/8.
24. ينظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الآرمي العلوي الهرري الشافعي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1421هـ/2001م. 77/30.
25. سورة القلم الآية (7).
26. ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م. 68/89.
27. المصدر السابق نفسه.
28. سورة القلم الآية (9).
29. سورة القلم الآيات (10-15).
30. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق كلا من: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – والشيخ علي محمد معوض، والدكتور: زكريا عبد المجيد التونسي – والدكتور: أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1413هـ/1993م. 304/8.
31. ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م، الطبعة الثانية 1420هـ/1999م. 190/8.
32. سورة القلم الآية (16).
33. ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – مصر. 305/20.
34. سورة الكهف الآية (28).
35. أخرجه أبو داود في سننه، تحقيق: عزت عبيد الدعّاس وعادل السيد، دار ابن عزم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م.من حديث أبي هريرة، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم الحديث (1833) 109/5.
36. أخرجه أبو داود في سننه، تحقيق: عزت عبيد الدعّاس وعادل السيد، دار ابن عزم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م. من حديث أنس، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم الحديث (4829)، 107/5.
37. ينظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الآرمي العلوي الهرري الشافعي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1421هـ/2001م. 93/30.

38. ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م، الطبعة الثانية 1420هـ/1999م. 195/8-196.
39. ينظر: التفسير الموضوعي، الدكتور: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م. 301/8.
40. ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م. 79/29.
41. ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان. 32/21.
42. سورة يوسف الآية (111).
43. سورة الأعراف، الآية (95).
44. سورة طه، الآية (80).
45. ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م. 90/29.
46. ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م، الطبعة الثانية 1420هـ/1999م. 198/8.
47. ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان. 33/29.
48. ينظر: البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق كلا من: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – والشيخ علي محمد معوض، والدكتور: زكريا عبد المجيد التونسي – والدكتور: أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1413هـ/1993م. 308/8.
49. ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م، الطبعة الثانية 1420هـ/1999م. 198/8.
50. ينظر: المحرر الوجيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي – تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م. 351/5.
51. ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م، الطبعة الثانية 1420هـ/1999م. 198/8.
52. ينظر: التفسير الموضوعي، الدكتور: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م. 308/8.
53. ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – مصر. 321/20.
54. ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م.93/29 – 95.
55. ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م، الطبعة الثانية 1420هـ/1999م. 200/8.

56. ينظر: البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق كلا من: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – والشيخ علي محمد معوض، والدكتور: زكريا عبد المجيد التونسي – والدكتور: أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1413هـ/1993م. 308/8.
57. ينظر: التفسير الموضوعي، الدكتور: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م. 306/8.
58. ينظر: مفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، دار الفكر – الطبعة الأولى، 1401هـ/1981م. 96/30.
59. المحرر الوجيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي – تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م. 353/5.
60. أخرجه مسلم في صحيحه ، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م، كتاب البر والصلة والأرحام، باب تحريم الظلم، رقم الحديث (2583)، 1200/2.
61. ينظر: مفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، دار الفكر – الطبعة الأولى، 1401هـ/1981م. 97/30.
62. ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م، الطبعة الثانية 1420هـ/1999م. 200/8.
63. ينظر: مفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، دار الفكر – الطبعة الأولى، 1401هـ/1981م. 264/28.
64. سورة آل عمران الآية (178).
65. ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م. 104/29.
66. سورة الأنبياء الآية (86).
67. سورة غافر الآية (77).
68. سورة الأنعام الآية (91).